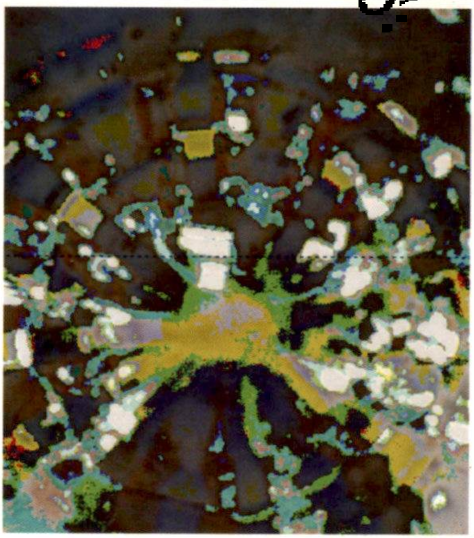
نهاية المطاف

قصص قصيرة



عبد القادر مطول علي

مجلس الثقافة العام

نهاية المطاف

قصص قصيرة

نهـــاية المطـــاف

قصص قصيـرة

عبد القادر مطول علي

النـاشـر
مجلـس الثـقافـة العـام

اســـم الكـتاب نهاية المطاف – مجموعة قصصية

اســـم المؤلـف عبد القادر مطول علي

سـنـة النـشـــر 2006م

رقـــم الإيـــداع 6989 / 2006 م

الترقـيم الدولـي ISBN - 9959 - 38 – 105 - 6

تصـميم الغـلاف علي العباني

لـوحـــة الغـلاف علي العباني

التنفـيذ الفـنـــي عاطف الأطرش – نجلاء المنقوش

إصدارات

مجلس الثقافة العام

المقر الرئيس – مجمع المؤتمرات – سرت

هاتف 002185468622 – بريد مصور 002185473161

فـرع طرابلس – عمارة الواحات – شارع عمر المختار

هاتف 00218214449894 – بريد مصور 00218213335388

ص ب 2764 طرابلس

فـرع بنغـازي – الفويهات الغربية – الطريق الدائري الثاني

هاتف 00218612241577 – 00218612241578

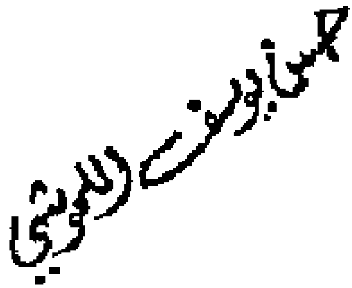
بريد مصور 00218612241576 – ص ب 9351 بنغازي

بريد إلكتروني – LCC2_2005 @Yahoo.ca

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

تنفيـذ الطباعـة

القاهرة ت 0020123140315



إهـــداء

لا يوجـد مـن يفـتح قلـب إنسـان أكـثر مـن صـديق وفي.. يسـعى إلـيه في أفـراحه وأتـراحه، فـيجد لديـه الـراحة والطمأنينة وا لملاذ الآمن.

فـإلى أولـئك الأصـدقاء الذيـن ساعدوني وشجعوني أهدي هذه المجموعة القصصية فهي بهم ومعهم ولهم. ،،،

المـــؤلف

الطُعم

نظر مليًّا إلى كرة "البلاستيك" الطافية على سطح الماء السَّاكن.

كانت تطفو بكسل وتراخ.. ضايق عينيه شعاع الشمس الوهاج المنعكس على صفحة الماء.

سارق النظر إلى رفيقه، حيث كان يقف غير بعيد عنه صامتاً ممسكا بقصبة الصيد، ينظر إلى حيث يتدلى الخيط في الماء ... احترم صمته، وأعادَ بصرهَ إلى حيث يتدليّ خيطه هو... كرة "البلاستيك" مازالت تطفو هناك، ومنها ينزل الخيط عموديا إلى أعماق الماء، حاملا في آخره الصنارة يخفيها طعم بإحكام.

نظر إلى ساعته.. لم يمض سوى وقت قليل على قدومهما إلى البحر ومع ذلك فهو يحس بالملل ..

انتابه بعض الخجل من مشاعره، كانت تلك تجربته الأولى في صيد السمك، لم يكن لديه ميل لتلك الهواية، ولم يكن متحمساً لممارستها ولكن تلبية لإلحاح وإغراء صاحبه - الذي كان مغرماً بها

منذ سنوات طويلة - فقد وافق على مرافقته في رحلة لصيد السمك.أعد صاحبه ما يلزم من تجهيزات لمثل هذه الرحلة.

استحضر معه قصبة صيد إضافية .. وعلى الشاطئ قام صاحبه بتركيب الطعم على الصنارة بتأن ومهارة، واختار مكاناً مناسبا ورماها، ثم شد الخيط قليلاً بالبكرة، وناوله القصبة بعد أن أشار إلى كرة "البلاستيك" الطافية وقال باسماً:

- عندما تغوص تلك الكرة اسحب الخيط.

مازالت الكرة تطفو ساكنة لم تغص .. بل لم تتحرك وكأن الماء قد تجمد من حولها .. وأخذ يفكر: ترى ما الذي يحدث في الأعماق .. قد يكون الطعم قد سقط والتهمته الأسماك دون عناء .. أو أن بعض الأسماك لها من المقدرة والخفة ما يمكنها من استلاب الطعم من الصنارة، دون أن تؤثر على الكرة الطافية على سطح الماء .. شعر برغبة شديدة في سحب الخيط للتأكد من الأمر.

سارق النظر مرة أخرى إلى صاحبه، الذي كان لاهيا عما حوله، يغمغم بأغنية شعبية.

بهدوء – كي لا ينتبه صاحبه – أدار يد البكرة ليسحب الخيط، فصدرت عنها "تكتكة" خفيفة، فتوقف في الحال ..

مرة ثالثة سارق النظر إلى صاحبه، وكان هو الآخر يراقبه وتلاقت نظراتهما فبادره صاحبه مستفسراً:

- كيف تجري الأمور؟ ..

صارحه بأنه يشعر ببعض الملل.

ابتسم صاحبه ابتسامة إشفاق، وقال:

- لا عليك، ذلك طبيعي في البداية.

ثم أردف بعد فترة قصيرة:

- ليس شرطا أن تحمل القصبة طوال فترة الصيد، يمكن تثبيتها بين صخور الشاطئ.

وبدون تريث وكأنه يخشى أن يتراجع صاحبه في عرضه ثبَّت نهاية القصبة في شق بين الصخور، وبعد أن تأكد من أنها اتخذت وضعا مناسباً، قال:

- إذا لا بأس ..

بعض المارة يقتربون منهما، والفضول واضح في نظراتهم، شعر بالارتباك فقد يكتشفون جهله بالصيد.

و في محاولة لتغطية ارتباكه أخذ ينظر ناحية البحر بتحديق ثابت - كما يفعل كبار الصيادين وكأنه يرصد سرباً من الأسماك، وبعد أن تأكد من ابتعادهم نظر إلى صاحبه قائلاً، وقد بلغ به الملل والتذمر مداه:

- "لا أجد أي رغبة في مواصلة الصيد، حقيقة أشعر بالملل،

وأرى أنه من الأفضل أن أسحب الخيط من الماء، وأحفظ القصبة في السيارة .. أمضِ أنت في الصيد ولا تنزعج من أجلى، سأنتظر في السيارة وسأتسلى، بالاستماع إلى المذياع.."

بسط صاحبه يديه، ورفع حاجبيه معبراً عن التسليم بالعجز، وقال وهو يبتسم في أسى:

- "كما تريد، طالما تلك رغبتك، كنت أود أن تستمر قليلاً، فأهم ما يميز صياد السمك هو التحلي بالصبر والأمل. ولكن لا عليك قد تكون الأمور أفضل في فرصة أخرى".

- "فرصة أخرى!! .."

لا شعورياً ألفى نفسه يرددها، بينما كان يحمل علبة الطعم ليضعها في حقيبة صاحبه، ثم أردف قائلاً:

لا أعتقد أنه ستكون هناك فرصة أخرى . نعم،إنني أحترم هذه الهواية ومن يمارسونها، ولكن لا أجد في نفسي ميلاً لممارستها ..

وعندما رأى صاحبه واجماً مكتئباً أضاف في محاولة لإرضاء خاطره:

- قد يكون ذلك عيباً فيَّ، وعلى أية حال فقد حاولت كما ترى ولكن دون جدوى .

لزم صاحبه الصمت وقتاً. ثم سمعه يقول وكأنه يحدث نفسه:

- أنا أيضا لا أشعر الآن برغبة في مواصلة الصيد، بعد قليل سألحق بك في السيارة لنعود سويا .

عندما عاد إلى القصبة ليسحب الخيط من الماء. أمال بصره إلى الكرة الطافية، وطفق يحدق فيها مدهوشاً، فقد كانت تغوص ببطء إلى أن اختفت في الماء. ثم طفت فجأة حتى كادت ترتفع فوق سطح الماء، وقبل أن يستفيق من ذهولة غاصت الكرة مرة أخرى، وانتظر أن تطفو، ولكنها لم تفعل. سمع أزيزاً حاداً يصدر عن الخيط نتيجة الشد الشديد. ورأى القصبة المصنوعة من اللدائن – وهى تتقوس بشدة، وتوقع أن تتحطم في أي لحظة .

بسرعة التقط القصبة بكلتا يديه، وأدار يد البكرة لكي يسحب الخيط، شعر بمقاومة عنيفة .. بذل جهداً كبيراً ليلف يد البكرة وقد دارت ببطء .. بعصبية أخذ يُديُرها وبكل ما أوتى من قوة، ودار الخيط حول البكرة ساحباً الصيد نحو الشاطئ، وقد أصبح في مقدوره أن يراه، سمكة كبيرة تقاوم بشدة وعناد، تدور حول نفسها في حركة لولبية، وكلما واجهت الشمس ببطنها البيضاء اللامعة بعثت بريقاً ساطعاً يخطف البصر فزاده ذلك ذهولاً، ولم ينتبه إلى بعض الفضولين الذين تجمعوا خلفه، كما لم ينتبه إلى صاحبه الذي أصبح يقف إلى جانبه ،ويصيح عليه ببعض الإرشادات الواجب اتباعها، ولكن دون جدوى، فلم يكن يعي شيئاً مما حوله.

وظهرت السمكة من الماء .. قال أحد الواقفين خلفه بدهشة:

- لم أر أحداً يصطاد سمكة بهذا الحجم من قبل !!.

السمكة ماضية في المقاومة رغم خروجها من الماء .. وفى لحظة أسرع من البرق سقطت السمكة من الصنارة في الماء، واستقرت هنيهة في وضع ساكن، وكأنها غير مصدقة نجاتها، أو كأنما تريد أن تسترد بعض قوتها التي بذلتها في المقاومة العنيفة ..

عندما رأها ساكنة، فكر في أن يقذف بنفسه في الماء لكي يمسكها بيديه، وهمّ بذلك لولا أن رآها تندفع كالسهم إلى الأعماق لا تلوى على شئ. انتبه من ذهوله على أصوات الواقفين حوله، وغمره شعور بالزهو عندما سمعهم يتحدثون بدهشة وانبهار عن السمكة وحجمها، وعن سوء الحظ الذي جعل السمكة تسقط من الصنارة في آخر لحظة ..

وألفى نفسه يرد عليهم بثقة وثبات، قائلا :

- في المرة القادمة سيكون الحظ السيئ من نصيبها هي، ولن تفلت منى أبدًا.

لف الخيط وأمسك بالشص يتفحصه، حيث كانت آثار المعركة واضحة عليه، وبينما هو يقلب الشص بين أنامله التفت إلى صاحبه قائلا:

- "أريد طعماً .."

وأردف عندما رأى بسمة انتصار وظفر ترتسم على وجه صاحبه وفى عينيه :

- "كما ترى فقد التهمت السمكة الطعم .."

وتحولت ابتسامة صاحبه إلى ضحكة عابثة، بينما كان يدفع إليه بعلبة الطعم (*)

طبرق

16/12/1987 ف

(*) نشرت بمجلة الثقافة العربية ـ العدد :5 السنة : 15 – مايو 1988. نشرت بصحيفة الشمس – العدد: 2296 – 3 أي النار 1431 و.ر

حـادثة عـاديـة

بينما كانت سيارته تخترق الشارع المزدوج في حيهم، أوقفها فجأة. فقد راعه أن يرى ثلاثة صبيان، وقفوا تحت أحد أعمدة النور ،يقذفون مصباحه بالحجارة .

هبط من السيارة يستشيط غيظاً وحنقاً، صفق بابها بعصبية ظاهرة واتجه نحوهم، كان يتوقع أن يفروا هاربين، إلا أنه بغت بهم يمضون فيما هم فيه، دون اكتراث به، أو التفات إليه.

تبادر إلى ذهنه أن ينقض عليهم،ويعمل فيهم صفعاً بالأيدي وركلاً بالأرجل ..ولكن نظرة واحدة إلى وجوههم ،وقطع الحجارة في أيديهم، جعلته يكبت جماح نفسه، ويسقط ذلك الخاطر من ذهنه، ورأي – مضطرا – أن يلجا إلى النصح اللين عله أن يستدرك أمرهم، ويصلح من حالهم.

دنا منهم، تنحنح، وقال، وهو يحاول أن يجعل نبرات صوته هادئة رزينة :

- "يا شباب"..

لم يلتفتوا إليه .

دنا أكثر، وتكلف التودد، وهو يعيد النداء عليهم مرة أخرى مستعملاً لفظة "يا شباب"، ليكبر من شأنهم علة يحوز اهتمامهم ورضاهم ،فتطيب نفوسهم ،ويسهل إقناعهم وثنيهم عما عزموا عليه.

وفي تلك اللحظة كانت إحدى الحجارة قد أصابت المصباح، فصدر عن ارتطامها به صوت مكتوم، لم يتهشم المصباح، ولكنه أخذ في التّصدع.

رفع صوته قليلاً وهو يناديهم للمرة الثالثة:

- يا شباب ..

التفتوا إليه، وقد اقترب منه اثنان، تتطاير من أعينهم نظرات التحدي والعنف، وقد شدوا قبضات أيديهما على قطع الحجارة بها. أما ثالثهم فقد مضى في قذف الحجارة على المصباح. وكأنه انتهز فرصة انصراف رفيقه، ليستأثر وحده بلذة إتمام المهمة، ويفاخرهما بذلك فيما بعد.

بلهجة رزينة متوددة قال لهم:

- كيف تقومون بعمل شائن كهذا، وأنتم شباب تبدو عليكم الطيبة، وحسن التربية، هذه بلادكم ...

قاطعه الصبي الثالث وكان قد توقف عن القذف، ليتخذ موقعاً جديداً يمكنه من إحكام تسديد حجارته إلى زجاجة المصباح، قاطعه قائلاً، ونظره مركز على المصباح:

- اقفل فمك وامش يا (.....)

لم يهتم بالكلمة النابية التي تلفظ بها الصبي، تغاضى عنها، وهمّ بأن يستطرد في حديثة، ولكن الصبي لم يمهله وأردف شتيمته بأخرى أقذع منها فقال:

- أنت أصلك (....)

شعر بيد غليظة تعصُر قلبه، ونشف ريقه، وهو يفكر في تلك الشتيمة، التي ما كان يظن أنها مما يجري به اللسان حتى بين المرء ونفسه.

اتجه أحد الواقفين أمامه بالخطاب لزميله الثالث، طالبا منه في لهجة بريئة المظهر، واضحة السخرية: أن يلتزم السكوت لحظة، ليتمكن الأستاذ من تكملة محاضرته القيمة..

لمح امرأة تخرج من بيت مطل على الشارع، غير بعيد عنهم، أحس بالارتياح، فقد تكون أم أحد منهم ساءها فعل ابنها فأقبلت لتنهره.

اندفعت المرأة عبر الشارع كالسّهم إلى أن بلغت الرصيف الفاصل بين الازدواج، ثم عادت مسرعة من حيث أتت، واختفت وكأنها شبح، بعد أن تركت خلفها كيساً منتفخاً بالقمامة.

فكر في أن يلوّح لهم بالتهديد، بعد أن أخفق معهم بالنصح والإرشاد فقال لهم متوعداً مهدداً:

- أعرف أنكم طلبة بمدرسة هذا الحي الإعدادية. غداً سأتوجه إلى إدارة المدرسة، وأخبر المدير بما فعلتم، فينالكم عقاب أليم وخصم من درجاتكم، قد يؤدي إلى رسوبكم في الإمتحان.

فقالوا، محتفظين بلهجتهم البريئة المظهر، الواضحة السخرية والزراية:

- ولماذا غدا؟! يمكنك أن تذهب الآن إلى ساحة بيع الخضروات، ستجد مدير مدرستنا هناك، بجانب سيارته المحملة بالطماطم، تشتري منه بعض الطماطم، وتخبره بما حدث.

فقال لهم، بلهجة تأكيد:

- لن أذهب إلى ساحة بيع الخضروات، لأني اعرف أن ما تقولونه مجرد اختلاق وافتراء لا أساس له من الصحة. ولكني سأذهب لأبلغ الشرطة وسترون ما يحل بكم.

- الشرطة! .. الشرطة!

نعتوا الشرطة بألفاظ قذرة تفننوا في اختيارها. في تلك اللحظة دوى صوت مرتفع، فقد تمكن الصبي الثالث من إصابة المصباح، الذي انفجر وتهاوى شظايا على الطريق.

وفي صوت واحد أطلق ثلاثتهم صرخة انتصار:

- "هيه".

وبينما هو في حيرة من أمره، تتقاذفه الأفكار والهواجس، رأى سيارة شرطة مقبلة، فقال لهم وهو يتنفس الصعداء:

- ها هي الشرطة قد جاءت، سيقبضون عليكم، وتنالون جزاء فعلتكم.

وتوقع أن يهربوا هذه المرة، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث. الحجارة ما زالت في أيديهم .. المصباح مهشم تتأرجح خيوطه في الهواء، وكأنها أصابع اتهام تشير إلى المجرمين..

شظايا الزجاج متناثرة على الطريق .. إنها حالة تلبس كاملة .. سيارة الشرطة تقترب .. تخفف السرعة .. تكاد تتوقف ... وبمهارة، وحذق قادها الشرطي في خطوط متعرجة، متفاديا شظايا الزجاج، وعندما اطمأن إلى ذلك انطلق مسرعا لا يلوي على شيء.

ولبث ساعة مشدوها، يحدق في سيارة الشرطة تبتعد إلى أن اختفت، وانتبه عندما وجد الصبية يلتفون حوله، يلوّحون بقبضات أيديهم بالقرب من وجهه، وقالوا له بنفاد صبر:

- إن لم تكف عن كلامك الفارغ وتغرب عنا يا وجه الـ (.....) فسندمّر زجاج سيارتك.

همَّ بالكلام، لكنه أمسك، عندما أردفوا مهددين:

- كلمة واحدة تتفوه بها ننفذ وعيدنا، لقد احتملناك كثيراً أيها الـ (....).

مرت لحظة صمت صَعَّد نظره إليهم، التحدي الوقح في أعينهم، الحجارة في أيديهم، المارة لا يأبهون له، سيارته مصفوفة غير بعيدة عنهم .. همّ بأن يقول لهم: أنهم سفلة وقليلو الأدب ... ولكنه أحس في أعماق نفسه بحاجز يمنعه من ذلك.

ابتلع ريقه في صمت ... ثم اتجه إلى سيارته، وعندما انطلق بها أطلق الصبيان صرخة انتصار أخرى

- " هيه".

واتجهوا إلى عمود النور التّالي (*)

طبرق

19/2/1988 ف

(*) نشرت بصحيفة البطنان. العدد : 43-8 النوار 1988م.

لا وقت للحساب

شعر بالنعاس يثقل أجفانه، وضع الكتاب الذي كان يقرأه جانبا، أطفأ النور، سحب الغطاء على وجهه، أغمض عينيه وانتظر أن يروح في سبات ... ولكن لا فائدة، داهمته الهموم وانتابه شعور عميق بالكآبة والبؤس، فأمس النوم مطلباً صعباً بعيد المنال .. حاول أن يخدع نفسه، أن يوهمها بالنوم .. ابتدأ في العدّ برتابة - خطة تنجح معه أحياناً في جلب النوم - .. واحد .. اثنان .. ثلاثة .. خمسون .. مائة.

أُفّ ... لا فائدة .. بحركة عصبية أزاح الغطاء عن وجهه متمماً لنفسه:

"إذن فليكن ما تريدين".

تناول سيجارة وأشعلها، شعر بألم ومرارة في حلقه، لقد دخن كثيراً ولم يكن في حاجة إلى مزيد منها الآن، ولكن ماذا يعمل إذا كانت نفسه تصر على محاسبته وتعذيبه ساعات طويلة كل ليلة.

لقد تجاوز الأربعين من عمره منذ سنوات قليلة. كان قد درس

بالخارج وعاد بشهادة عالية أهلته لشغل وظيفة مرموقة.. أشاروا عليه بالزواج.." لم يعد ينقصك شئ". هكذا قالوا له .. إلا أن فكرة الزواج لم ترقه كثيرا، خاصة بعد أن احتك بأصدقائه المتزوجين واطلع على بعض جوانب حياتهم العائلية، وفضل أن يترك الأمر للوقت والظروف، وبين لهم أن الأمر بالنسبة له مسألة شخصية، وأنه عندما يجد المرأة التي يرى أنها تصلح زوجة له فلن يتردد في الاقتران بها. ومرت السنون .. وتجاوز العقد الرابع، وابتدأ خريف العمر ببرودته ووحشته.. وهو وحيد .. لقد اهتزت مبادؤه .. ووقع فريسة للشعور بالضعف والنقص.

تنهد في أسى وهو يفكر في رفاقه .. كلهم كونوا أنفسهم منذ فترة طويلة، لهم مكانة اجتماعية، وأسر، وأولاد يلتفون حولهم..

نعم، كثيراً ما سمع شكاواهم المرة من مشكلات الأولاد، وتسلط الزوجات، ولكن أين تلك الهموم مما هو فيه الآن، ثم إن ذلك لا يساوي شيئاً أمام ابتسامة طفل يناديك بـ .. "بابا" حتى ولو كانت أمه هي " البسوس" .. ووجد نفسه يتساءل في حسرة: "ترى أما زالت هناك فرصة لتلافي ما بقى من عمره، وإنقاذه من شقائه وبؤسه ؟ .. لابد أن يخلق تلك الفرصة مهما كلفه الآمر" .. وعند هذا الخاطر شعر ببعض الطمأنينة .. ألقى نظرة إلى ساعته، كان الوقت متأخراً، والصداع يعتصر رأسه، فقط لو يستطيع أن ينام الآن .. تمدد على السرير.. أطفأ النور.. سحب اللحاف .. أغمض عينيه .. ومرت فترة من

السكون قبل أن يخرج صوته من تحت اللحاف خافتاً ورتيباً:

"واحد .. اثنان .. ثلاثة .." (*)

طبرق

14/7/1987 ف

(*)نشرة بصحيفة البطنان العدد : 38 – 23 . الحرث 1987.

أخلاق الزحام

الظهيرة حارة لافحة، والشمس في كبد السماء تصب شعاعها الملتهب على الجدران والطرقات، الهواء ثقيل راكد يتحرك أحياناً ليصفع الوجوه وكأنه يأتي من أتون مشتعل.

تصبب العرق من جسمه ووجهه ليشكل مجار هابطة، تتجمع في قطرات على حافة أنفه، وعند زاوية ذقنه، وبعضها يتسلل عبر حواجبه، ليتسرب بعد ذلك إلى عينيه فيشعر بحرقة ولذعة، لا شك أن عينيه حمراوان كبركتين من الدم.

كان يعلم أن المنديل في أعماق جيبه الأيمن، فتلك عادته التي درج عليها منذ سنوات طويلة . فقبل أن يرتدي "بدلته" إن كان الوقت شتاء أو "سرواله" إن كان الوقت صيفا، يبادر زوجته متسائلاً: "المنديل"؟.

"ويأتيه الجواب بطريقة آلية وبأسرع من رجع الصدى:

"في الجيب الأيمن" وفي أحيان أخرى كانت زوجته توفر عنه تساءله، فبمجرد أن ينظر إليها تنطق وكأنها آلة تسجيل ضغط على "زر" التشغيل بها: "المنديل في الجيب الأيمن".

إذاً فالمنديل هناك لا شك في ذلك، ولكن الزحام شديد، والأجسام متراصة متضاغطة، وكأنها الخضم المتلاطم الأمر الذي استحال معه وصول يده إلى جيبه ناهيك عن الوصول إلى المنديل وإخراجه.

روائح العرق تنبعث من الأجسام بعضها مشبع بالحموضة والبعض الآخر مشبع بالنتانة وبروائح أخرى لا يستطيع تحديد كنهها، ولكنها تثير فيه الشعور بالغثيان.

تجاوب مع حركة الأجسام المتراصة، فأخذ يضغط بجسمه في اتجاه الشباك الذي توزع منه الجوارب ! ..

أجل الجوارب !! فقد اهترأت جواربه منذ فترة ليست بالقصيرة، ومن حينها وهو جاد في السعي للحصول على أخرى جديدة دون أن يحالفه التوفيق، كان كلما سمع أنها تباع في أحد المحلات سرعان ما يهرع إليه ليكتشف أنه قد جاء متأخراً، وأن الجوارب قد نفدت من قبل أن يسمع عنها. وفي أحيان أخرى كان يجد الزحام على أشده – كما هو الآن – فيرى أن الأمر لا يستحق كل ذلك العناء، وأن بإمكانه الانتظار عسى أن يستكفي الناس، فيحصل على بغيته دون التعرض لمشقة لا لزوم لها . وقد عجب لأمر هؤلاء الناس الذين يتزاحمون على الملابس مهما كان نوعها أو ثمنها، ويشترونها بكميات وفيرة، ومع ذلك فهو لا يراهم إلا في أسمال باليه وأطمار رثّة، فما تراهم يصنعون بما يشترون من ملابس ؟!!

هكذا تساءل في نفسه بينما كان يقيس ببصره المسافة التي تفصله عن الشباك.

مسافة طويلة تفصلة عن الشباك، أو بالأحرى أجساد كثيرة تحول بينه وبين الشباك، ورغم أنه ما زال بعيداً عن المنطقة القريبة من الشباك، حيث تدور معارك حقيقة وتتطاير الألقاب البذيئة لترتطم بالجميع إلا أنه كان يشعر بأحشائه تعتصر داخل بطنه وراودته فكرة الانسحاب والاكتفاء من الغنيمة بالسلامة، ولكنه طرد الفكرة من خاطره، لأنه دخل الزحام باختياره وشرع في مدافعة الآخرين، وبذلك يكون قد قبل منطقهم ورضيه، ولذا فقد أصبحت الأمور تجرى وفق قياسهم حيث : الغلبة والفوز من نصيب الأقوى جسماً والأطول لساناً، فإذا رغب الآن في الانسحاب فلا معنى لذلك إلا أنه يفتقر إلى الأنياب والأظافر إذا فلا بد من الاستمرار هكذا سوغ الأمر لنفسه، وبينما كان مستغرقاً في حواره الذاتي إذ لمح وسط الزحام عنقا مشرئبا إليه، وعينين مشرعتين تنظران إليه نظرة تمتزج فيها الدهشة بالاستغراب، وتفوح منها رائحة الاستنكار، وما كان في حاجة إلى اعتصار ذاكرته لمعرفة صاحب تلك العينين، فهو يعرفهما جيداً، طالما تطلعتا إليه بالإعجاب والإجلال فيما هو ماض في شرح دروسه باذلا ما في وسعه لتذليل الصعاب فيها، وفك رموزا المستغلق منها.

كان يتمتع بالإجلال والاحترام من قبل طلبته لا لمقدرته الفذه في التدريس وامتلاكه لناصية ذلك الفن فحسب، بل ما يفوق ذلك شأواً هو إعجابهم بسلوكه القويم و إخلاصه لمبادئه، واعتزازه بنفسه ومهنته. اسقط في يده وانتابه شعور بالخجل والمهانة كمن يضبط متلبسا بجرم.

وأضحى هاجسه كيف سيواجه تلاميذه في غدٍ وكيف ستكون نظراتهم إليه؟!، هل سيجدها خلوا من الاحترام والإجلال ؟!، وهل سيجد بدلا من ذلك الاحتقار والاستخفاف ؟!، هل سينظرون إليه كممثل يؤدي دور المربي في الفصل، ودور المهرج المشاكس بين الناس، وأن الأمر لا يعدو أن يكون تمثيلا بارعا، وأدوارا متقنه تؤدي حسب متطلبات الموقف وما يقتضيه الحال. وذهل عن نفسه وعما حوله، فعملت الأجسام المتراصة على إبعاده، وشيئاً فشيئاً وجد نفسه خارج دائرة الزحام، جر رجليه متثاقلاً إلى أن ابتعد قليلاً، ثم وقف وسحب طرف سرواله إلى أعلى وألقى نظرة على قدمه فظهر اهتراء جوربه واضحاً. التفت إلى حيث الزحام دائراً ورأى بعضاً ممن كسبوا المعركة يحملون الغنائم بطريقة استعراضية وقد نفخوا صدورهم مزهوين بعضلاتهم وحسن بلائهم، بل منهم من راقه الأمر فأعاد الكرَّة مرة أخرى لجلب المزيد . أخرج منديله وجفف عرقه..ألقى نظرة أخيرة على الزحام .. لا أحد منهم يأبه له .. فولى ظهره لهم .. ومضى في طريقه (*)

طبرق

2/5/1990 ف

(*)نشرت بصحيفة البطنان – العدد : 81-28-5-1990.

المحترم

جاء مبكراً إلى العمل، كعادته. فقد عرف بالانضباط والجدية والدقة في العمل، وفي غيره من بقية شؤون حياته.

كان دائما متئدا في تصرفاته، متريثاً في حديثه، مستقيماً في سلوكه .. بعض زملائه يرون في تلك الصفات انعكاساً لحياة زوجية مستقرة، فقد كان متزوجاً منذ سنوات عديدة، وله أولاد. في العمل يحظى بتقدير زملائه ورؤسائه على حد سواء، الآنسه سعاد إحدى زميلاته في العمل هي الأخرى تحترمه وتقدره. تلجأ إلى مشورته فيما يعترضها من مشكلات في العمل. وكثيراً ما تستشيره في أمورها الخاصة.

هذا الصباح .. لاحظ أنها مكتئبة على غير ما عهدها .. انتهز الفرصة عندما جاءت تحمل البريد اليومي، واستفسر منها عن سبب كآبتها .. أخبرته بأنه قد جاء من يخطبها من والدها..

قال مستغربا بعض الشيء:

- "إن ذلك مدعاة للسرور والسعادة، لا للحزن والاكتئاب".

تنهدت وهزت رأسها مؤيدة كلامه وقالت:

- "ولكنهم يقولون: إن سمعته ليست محمودة .. وذلك ما يحيرني"..

ثم أردفت بعد فترة صمت قصيرة:

- "ما يهمني في الرجل أن يكون ذا قيم ومبادئ .. ومحترماً مثلك مثلاً.

بعد أن انتهى الحوار كان صدى تلك الكلمة مازال يتردد في رأسه: "محترم مثلك" .. شعر بأن له أهمية ووزنا، وكم كان متعشطاً لذلك . غمره إحساس دافق بالحيوية والغبطة.. وحدث نفسه:

-"محترم مثلك .. يعني مثلي .. أنا محترم .. ومن يقول ذلك؟.. سعاد ! آه .. ليتها تعلم – ما قالته سعاد – تلك القابعة في بيته .. لو أن سعاد كتبت له تلك الشهادة التي قالتها فيه، لجعلها في إطار وعلقها في بيته.. ولكن ما الفائدة حتى لو حققت له ذلك فالأخرى لا تعرف القراءة، وبذلك لا تقوم عليها الحجة..

وقف ليتمشى بين المكاتب، فحالته لا تحتمل الجلوس .. مر على زملائه في المصلحة حياهم بود .. وسألهم عن أحوالهم وأولادهم.

في دورة المياه بالمصلحة .. ألقى نظرة على نفسه في المرآة .. لا بأس بشكله .. شعره المخضب بالبياض يضفي عليه مسحة من الوقار

والاحترام.. بدلته كالحة بعض الشئ، لا بد من تغييرها، سيتدبر أخرى جديدة تليق بمحترم مثله.

عندما انتهى وقت العمل، وبينما هو يهم بفتح سيارته رأى أنها غير نظيفة، عزم على تنظيفها لتصبح لائقة برجل محترم مثله مثلاً ..

وحينما دخل البيت وجد زوجته منهمكة في غسل الملابس .. جففت يديها .. اتجهت إلى المطبخ – دون أن تتكلم أو تنظر إليه – .

عادت بعد فترة وجيزة تحمل سفرة الطعام، دفعتها أمامه دفعاً وكأنها تصفعه، وهو مازال واقفاً لم يجلس إلى المائدة بعد.

قال لها بلهجة تكلف أن تكون هادئة:

- "لا يصح أن يقدم الطعام بهذه الطريقة لإنسان محترم"..

هزت رأسها باستهانة .. ونفخت من أنفها .. وتلاعبت بحاجبيها .. وقالت وهي تنغم الكلمة تنغيماً تمثيلياً:

- "محترم؟! "..

وانصرفت إلى غسيلها تمصمص شفتيها، بعد أن ألقت إليه نظرة تنطوى على نذير يعرفه بالتجربة ..

جلس واجماً مطرقاً وقد اجتمع عليه بؤس الحياة وشرها

في لحظة .. وللمرة الأولى قرر أن لا يدخل معها في جدل ليثبت أنه محترم..

لأنه محترم.. (*)

طبرق

1987/9/22 ف

(*)نشرت بصحيفة البطنان العدد 40- 21. 12. 1987.

اللُّقَطَةُ (*)

من عادة " أحمد " إذا مشى، أن يحني هامته قليلاً، ويطرق رأسه ويشبك يديه خلف ظهره، فيخيل لمن يراه على ذلك الوضع، أنه يبحث عن شئ قد سقط منه، أو يتفحص ببصره شيئاً على الأرض. وذلك ما كنت أتوهمه في بداية تعرفي به، وكم من مرة دفعني الفضول لأحاكيه في وضعه ذاك، فأحدق بدوري إلى الأرض، لأرى ما الذي أثار اهتمام "أحمد" واكتشف أنه لا شئ هناك..

منذ عرفت "أحمد" توثقت بيننا عرى الوداد، وتوطدت وشائج الصداقة، كان ذلك عندما عينت مدرساً بإحدى مدارس مدينة "طبرق"، حيث كان هو الآخر يعمل مدرساً بالمدرسة نفسها. ولأنني لم أكن من سكان مدينة طبرق فقد اتخذت – بعد موافقة المدير – إحدى حجرات المدرسة مقر السكاني، وقد تسابق زملائي بالمدرسة في استضافتي كلما سنحت الفرصة، وكان " أحمد" أكثرهم استضافة لي، كان كريماً معي كرماً ليس فوقه من مزيد، وكنت في أحيان كثيرة

(*)اللقطة: الشئ الذي تجده ملقى فتأخذه – المعجم الوسيط.

أرفض عندما يدعونـي للعشاء، خوفاً من أن أكون مثقلاً عليهم، وأتعلل بعلل مختلفة، فيمضي عني متظاهراً بالاقتناع، ليعود إلى وقت الأكل وقد أحضر عدداً من الأواني تحوي مالذ وطاب..

كان يحلو لنا في أوقات الآصال أن نخرج لنتمشى، ونتجاذب أطراف الحديث ..

وعرفت منه أنه قد عانى حياة شاقة وصعبة في طفولته وصباه، وأنه لو لم تفتح مدرسة داخلية بالمنطقة، لما تمكن من الدراسة إطلاقاً .. فعندما قبل والده أن يدخله المدرسة مع أخيه الأصغر لم يكن بدافع أهمية التعليم فحسب، بل لعل قيام المدرسة بمسؤولية تموينهم، وإزاحة ذلك عن كاهله، كان هو الدافع الأقوى ..

وذات أصيل خرجنا كعادتنا لنتمشى، حيث كان الهواء رخاء، يحمل في أطوائه تباشير الشتاء بنشاطه وانتعاشه. وبغتة رأيت "أحمد" وقد حنى قامته، وأطرق برأسه . فمددت يدي ممازحاً وأسندت جبهته برفق، ليستقيم وضعه، وكنت قد دأبت على ذلك المسلك مؤخراً، بغية تخليصه من تلك العادة، وقد أشرت عليه مازحاً، بأن أفضل علاج له : أنْ يشد رأسه وظهره إلى خشبة مستقيمة فيستحيل عليه الانحناء، وبذلك يتخلص من تلك العادة..

وضحكنا معاً . وفجأة بدا الجد على وجه " أحمد" عندما التفت نحوي قائلاً:

- " أعتقد يا صديقي.."

وسكت فترة، ورنا إلى الفضاء ثم أطرق، ثم عاد يرنو إليَّ مرة أخرى، وقد رفع حاجبيه، كانت تلك طريقته عندما يريد أن يتحدث في موضوع مهم، واستطرد قائلاً : -

- أعتقد يا صديقي أنني لا أستطيع التخلص من هذه العادة ..

فقاطعته بلهجة يشوبها شئ من السخرية، قائلاً:

- "كيف تقول ذلك ومن خصائص مهنتك تهذيب الأخلاق، والسلوك، وتغيير العادات نحو الأفضل .. لا .. لا شك أنك تبالغ ..

ونظرت إليه لأرى وقع كلماتي عليه، ولكنه استمر في حديثه، ولم يعر التفاتاً لما قلت، وكأنه لم يسمعه، فقال:

- "عندما تفتحت عيناي على الحياة كانت هذه المدينة تعج بمخلفات الحرب، وكما تعلم فقد كانت هذه المنطقة مسرحاً من أهم مسارحها، كانت حياتنا صعبة، والدي يعمل في الميناء من الفجر إلى المغرب، بأجر يكاد لا يكفي لتوفير ما يسد رمق الأسرة، أما بيتنا الذي كنا نسكنه فلا يستحق أن يطلق عليه بيتا إلا على سبيل المجاز، فهو خليق أن يكون كناً للدجاج أو زريبة للبهائم من أن يكون بيتاً يأوي إليه البشر، لأنه عبارة عن بناء من "الزنك" شبيه بالكوخ، ويتكون من حجرة واحدة مهلهلة، وبعض من (البطاطين) من مخلفات الحرب ..

عندما أستيقظ في الصباح، يكون والدي قد ذهب إلى العمل، تناولني والدتي كوباً من الشاي وقطعة من الخبز، وبعد أن ازدردها كنت أطلب المزيد، ولكن والدتي كانت تهب فيَّ بلهجة حادة، ورد قاطع:

- "ألا تبقى نصيب أخويك، لقد تناولت نصيبك ولا حق لك في أية زيادة".

ورغم لهجتها القاطعة، إلا أنني كنت أستمر في إلحاحي وتوسلاتي بلا انقطاع، فلا تجد سبيلاً إلى إسكاتي إلا بتلبية طلبي، بعد أن تشبعني توبيخاً وتعنيفاً، ولكني لم أكن آبه لذلك، فالمهم عندي أن أحصل على قضمة الخبز الإضافية والقليل من الشاي.. وكان هذا الموقف يتكرر بحذافيره كل صباح..

ولازمني الإحساس بالجوع سنوات طويلة، ولا أذكر أنني شعرت بالشبع والامتلاء قبل دخولي المدرسة الداخلية، خلا مرات معدودة أغلبها في مناسبات كالمآتم والأفراح، وما أن أنتهي من الإفطار حتى تكون والدتي قد أحضرت خُرجاً يُحمل على الكتف، تضعه حول عنقي حاثة إياي على الإسراع قبل أن ترتفع الشمس وتشتد الحرارة، كنت أتناول قضيباً، من الحديد، وأمضي باحثاً عن قطع النحاس بنوعيه الأحمر والأصفر، وما أن أبرح الدار حتى أحني هامتي، وأطرق رأسي كي لا يفوتني العثور على أية قطعة نحاس، تكون اتفاقاً في طريقي، وإذا رأيت شيئاً مدفوناً في التراب وأشتبه في

أمره، كنت أستعين بالقضيب، فأنبش التراب، وأقتلعه من الأرض، فإن كان ما أريد أودعته الخرج، وإن لم يكن تركته وسرت في حال سبيلي .. وكثيراً ما فوجئت بالقضيب يقتلع قنبلة من الأرض، ولكن الله سلم، فلم يحدث أن انفجرت أي منها، وإلا كانت أودت بحياتي، أو بترت أحد أطرافي، كما حدث للكثيرين ممن جاءوا إلى هذه المنطقة تحدوهم أحلام الغنى والثروة، تلك الأحلام التي كانت غالباً ما تتبخر مع دوي الانفجار الهائل، وتناثر الأشلاء ..

وكنت أعود إلى الدار عند الظهر، فأتناول غذائي، وأستريح قليلاً، وبعد أن تخف حرارة الظهيرة، أحمل الخرج وأتناول القضيب، وأسعى حانيا قامتي، ماسحاً الأرض ببصري بحثاً عن النحاس، ولا أعود إلى الدار إلا قبل غروب الشمس بقليل ..

وعندما يصل والدي يفرغ الخرج من محتوياته، استعداداً لأخذها معه صبيحة اليوم التالي وبيعها في أسواق المدينة.

ثم التفت " أحمد" إليَّ وهو يهز رأسه في أسى، وقال:

- " آه .. يا صديقي، لو رأيت ذلك الصبي الذي كنته، بجلبابه البالي، وقدميه الحافيتين، وبطنه الضامرة، حاملاً خرجه، حانياً ظهره، ينقب بقضيب من حديد عن شئ بدا له في الأرض .. لو قدر لك أن ترى ذلك الصبي الذي قضى سنوات على تلك الحال .. لما لمتني اليوم على ما يبدو لك أنه عادة شائنة تعيرني بها وتلح على التخلص

منها .. وبعد فترة صمت قصيرة ندت عن " أحمد" آهة كأنما تذكر فجأة شيئاً ذا بال، وقال:

- لن أنسى ذلك اليوم ما حييت !!

وسكت يستعيد الذكريات، وقد أشرق وجهه سروراً وتخايلت على شفتيه ابتسامة .. فقلت مشوقاً:

- أوجدت قطعة نحاس أحمر كبيرة ؟!

فقال، مغمغماً:

- "لا .."

فقلت :

- "أصفر.."

وبهدوء أجاب :

- "لا .."

فقلت: وقد كاد صبري ينفد:

- "ماذا إذن ؟ قنبلة !!

فازداد وجهه إشراقاً، وابتسامته اتساعاً، وقال :

- "قطعة معدنية .. عشرة قروش .. كانت في ذلك الوقت تشكل

مبلغاً لا بأس به، خاصة في نظر صبي صغير مثلي حين ذاك، فأجرة والدي طوال النهار كانت خمسة وعشرين قرشاً..

عندما وقع بصري على تلك القطعة لم أبادر بالتقاطها، بل وقفت لحظة أتأملها غير مصدق، فقد يكون الوهم قد صورلي ما أراه .. جسستها بأصابع قدمي الحافية، وتأكدت من ملمسها وضغطت على حافتها فانقلبت، والتقطت أذناي صوت رنينها، وواجهتني بوجهها الآخر وكان أكثر لمعاناً لبعده عن الشمس والمؤثرات الجوية، وما أن تأكدت من حقيقتها حتى أخفيتها، بأن وضعت قدمي عليها، ونظرت حولي مديراً عيني ببطء، دون أن أدير رأسي، ولما تيقنت أن لا أحد حولي، انحنيت ومددت يدي حيث تسللت أصابعي تحت قدمي، واطمأن قلبي عندما لامست رؤوس أناملي الحافة المحززة، وطفقت أدفعها إلى أن استقرت في وسط الكف فانقبضت عليها الأصابع، واستقمت واقفاً، كل ذلك وعيناي تجوسان المنطقة، خوفاً من أن تنشق الأرض عن أحدهم فيدعي ملكية النقود وينتزعها منى، قربت يدى من أنفى وأرخيت قبضتي قليلاً، واستنشقت الهواء بشدة، وتنسمت رائحة المعدن، فتحت يدي ببطء وظهرت القطعة المعدنية قريباً من عيني وقد تألقت تسطع تحت ضوء الشمس، غمرنى شعور فياض من النشوة والفرح ..

وندت عنى صرخة دون إرادة فتملكتني حالة من الفزع، ما لبثت أن انقشعت عندما تأكدت أن أذناً بشرية لم تلتقط تلك

الصرخة، فأتبعتها بأخري، ومضيت في النط والقفز والخرج طائر في الهواء تتصادم بداخله القطع النحاسية، بإيقاعات متناغمة مع القفز والرقص، وقد وجدت كثير من تلك القطع طريقها إلى فوهة الخرج وتناثرت على الأرض ..

فجأة توقفت ورفعت قبضتي أمام وجهي، ونظرت إليها، لا يوجد ما يدل على أن الكنز بداخلها، ضغطتها فأحسست بالكنز فارتسمت ابتسامة على وجهي وأخذت تتسع إلى أن تحولت إلى ضحكة هستيرية!!..

وطفقت أنقل قطعة النقود من يد إلى أخرى، ثم مضيت أرميها في الهواء، لأعود فتتلقفها يدي مرة أخرى، ثم شرعت أقذفها على مسافة أمتار مني، وفي كل مرة أعثر عليها تتجدد فرحتي، وكأني أجدها للمرة الأولى، وراقني ذلك، فازددت جرأة في مباعدة قذفها، وفي آخر مرة شعرت بأن القذفة كانت أقوى مما يجب، فاندفعت خلفها وقد تعلق بصري بها بينما كانت تخترق الهواء، ولم أتبين مكان سقوطها جيداً، وشعرت بشيء ينقبض داخل صدري ولم أعثر عليها في البقعة التي ظننتها قد وقعت فيها، فازدادت ضربات قلبي، ولهث أنفاسي، وانتقلت إلى البقعة المجاورة وقلبت الحصى ونبشت الأرض بالقضيب دون جدوى، وانتقلت باحثاً من بقعة إلى أخرى، وكنت أرجع بين الفينة والفينة إلى البقعة الأولى وأعيد البحث فيها. لم أترك حجراً لم أقلبه، أو شبراً من الأرض لم أنبشه، ولكن كل جهودي ذهبت

أدراج الرياح.. توقفت عن البحث، فقد دبَّ اليأس في نفسي، وبمضض ومرارة استسلمت للحقيقة، فقد ضاعت النقود وضاع معها معظم ما جمعته من قطع النحاس في ذلك اليوم . وأزف وقت العودة للبيت، وفكرت في والدتي شدَّ ما ستكون فرحتها لو فاجأتها بتلك القطعة النقدية التي أضعتها برعونتي وخرقي. ووجدت الدمع يسح من عيني، فأطلقت لعبراتي العنان علها تخفف من بلواي..

وما إن عدت حتى لمحت والدتي شحوب وجهي واحمرار عيني، فسألتني عما بي، فادعيت بأنني أشعر بوجع في رأسي ومغص في بطني، وأريد أن أنام فأزاحت الخرج عن كتفي، وتمددت على طرف الحصير المهترئ وأغمضت عيني ..

توقف "أحمد" عن السرد، وقد علت وجهه مسحة من كآبة، والتفت نحوي، واصطنع ابتسامة مغتصبة، وقال :

- "وهكذا يا صديقي ترى أنني قد قضيت دهراً أمشي محني الهامة، مطرق الرأس، أبحث عن قطع النحاس، حتى كاد جسمي يتجمد على ذلك الوضع ..

ونظر إليَّ "أحمد" نظرة عتاب .. فابتسمت ولم أجب .. فقد كانت تتنازعني مشاعر الأسى تأثراً بما رواه لي .. وكيف كان هذا المسكين ينجو يومياً من الموت بأعجوبة .. ومع ذلك يعيد الكرة في اليوم التالي! .. يالها من حياة قاسية!! .. وبينما كنت مستغرقاً في تلك

الأفكار.. بدرت مني التفاته ناحية "أحمد" فرأيته يمشي وقد حنى هامته .. وأطرق برأسه .. وشبك يديه خلف ظهره ..

ورفعت يدي، وقد عزمت على أمر.. ولكن خاطراً بزغ في ذهني .. فتجمدت يدي فجأة .. ثم هوت إلى حيث كانت ..(*)

طبرق

1989/3/15 ف

(*)نشرت بمجلة الثقافة العربية العدد : 6 – 6 /1989ف.

سقطُ المتاع

فجأة انتبه على شقشقة العصافير. إذاً فقد لاحت تباشير الصباح، وعليه القيام لأداء فريضة الفجر.

في الواقع لم يكن نائماً عندما انتبه على شقشقة العصافير، التي كانت تتخذ من شجرة تنمو بجوار نافذته مأوى تلجأ إليه ليلاً. فقد استيقظ منذ فترة ليست بالقصيرة، وبإحساسه أدرك أن الوقت مازال مبكرة فآثر أن يبقى في سريره تحت اللحاف منتظراً يقظة العصافير، ليستدل بها على الوقت.

ها هى العصافير قد بدأت الشقشقة، وهى تبدؤها عادة بصورة متقطعة، وكأنها تنفض عن عيونها خدر الكرى.

وبعد هنيهة سيبلغ تغريدها قمته لتطير بعد ذلك وقد عاودها النشاط باحثة عن رزق يومها.

انسلَّ من تحت اللحاف، وببطء استوى واقفاً وحمد الله فلم يكن ألم مفاصله مبرحاً، ولا كان ألم معدته شديداً وضع يده ذات التجاعيد على بطنه وضغط برفق .. ظهرت علامات الألم و

الاشمئزاز على وجهه عندما تذكر المغص الذي ألمَّ به طوال الأسابيع الأخيرة، حيث كانت معدته تغافله وتقذف بعض محتوياتها السائلة دون إرادة منه، مما يزيد في سخط زوجة ابنه، فيتحول تأنيبها الدائم له إلى سباب واضح، ويزداد حرجه عندما يقع ذلك على مسمع من أحفاده.

وتذكر محاولاته البائسة التي كان يبذلها- بهدوء وبصوت لين - دليل ليفسر لها أن الأمر خارج عن إرادته .

ولكن لم تكن تعره التفاتاً، وتنطلق في نوبة من السباب والشتائم تختمها بندب حظها السيئ الذي أوقعها في هذه العائلة، وكتب عليها خدمة هذا الشيخ الخرف الكسل، الذي لا يتورع عن قضاء حاجته في ملابسه نكاية بها وزيادة في عذابها.

وعند هذا الخاطر ألفى يده تتجه بحركة آلية وتتحسس ثيابه من دُبر، ومرة أخرى حمد الله فقد كانت ملابسه جافة .. إذا لم تخذله معدته.

لو كان الأمر مقتصراً على معاناة أدوائه وسخط زوجة ابنه لاحتمل حتى يجعل الله له مخرجاً.

ولكن ما يشق عليه ويزيد في عذابه وآلامه هو : إحساسه بأن وجوده في بيت ابنه قد جر على حياة هذا الأخير الكثير من النكد والتنغيص .. كان يعي ذلك جيداً، ويعلم أن الكثير من المشاحنات

التـي تقع بين ابنه وزوجته لم تكن بسبب تلك الأمور التافهة كما يبدو من الظاهر، ولكن علتها الأساسية هي: وجوده في بيت ابنه . وكان إحساسه بمسؤليته عن ذلك الوضع يعذبه أشد من المرض، وأقسى من تأنيب زوجة ابنه .

ولكن ماذا يفعل وقد وصل هذه السن التـي لا يملك المرء فيها سوى أن يتمدد على السرير وينتظر الموت؟!!

تذكر.. كيف اقترح على ابنه - منذ عام مضى- أن يلحقه بـ "دار العجزة " متعللا بأنه سيجد من هم في سنة، فيتسلى برفقتهم، ويأنس لأحاديثهم .

ولا يذكر طيلة حياته أنه كانت لـه رغبة بقوة رغبته هذه في دخول "دار العجزة".

إلا أن ابنه رفض بشدة ولامه متسائلاً:

- "هل تراني عاقاً يا أبي؟!.. إن رأيت شيئاً يعكر صفو راحتك في هذا البيت فما عليك إلا أن تعلمني. راحتك يا والدي هي مبتغانا جميعاً، وإن لم تجد الراحة والرعاية في بيت ابنك فأين ستجدها؟!.".

وهمَّ الشيخ بالكلام، كان يريد أن يقول لابنه إن التحاقه بدار العجزة قد يحفظ لـه شيئاً من كرامته المهدرة، ولكنه لم يقو على ذلك، فآثر السكوت على مضض، فأضاف الابن قائلاً:

- " ثم ماذا يقول عنا الناس ؟!، رمى أباه في دار العجزة ليرتاح من عنائه !!، لا يا والدي قل أي كلام غير هذا .

ودارت الأيام والشيخ ينوء بأعباء السنين، قد هده المرض، وثقلت على كاهله وطأة الشيخوخة، ومرة أخرى أفصح عن رغبته في الالتحاق بدار العجزة، ورفض الابن بشدة.

وآثر الشيخ السكوت عندما رأى الدمع يترقرق في عيني ابنه الذي ما كان له أن يحقق رغبة والده خصوصاً بعد أن أخبره الطبيب في آخر زيارة بأن داء والده قد استفحل، وقد يقع أمر الله في أيام معدودة والأعمار بيد الله، وتكتم الابن الخبر ولم يطلع عليه أحداً من أفراد الأسرة.

دخل الشيخ الحمام، وفتح الحنفية فتحاً قليلاً، حتى لا يتسبب صوت انسياب المياه في إيقاظ أحد من أفراد الأسرة.

سمَّى باسم الله، ومد يده تحت خيط الماء المنساب من الحنفية.

وابتدأ الوضوء متمهلاً، فقد كان الوقت مبكراً فشقشقة العصافير مازالت تتناهى إلى سمعه .

أخذ يريق الماء على أعضائه، ويدلكها جيداً ليصل الماء إلى أخاديد الجلد المتجعد.

أدى فريضة الصباح، وأطال الدعاء. ثم قام وتمدد على سريره يغمره شعور جارف بالسكينة والرضا.

توقفت شقشقة العصافير.. وتعجب، إنه لم ير في حياته عصفوراً قد تخلف عن السعي في طلب الرزق، نظراً لتقدمه في السن وتساءل في نفسه : ترى هل يدرك العصافير الهرم كما هو الحال مع البشر ؟! وضحك بينه وبين نفسه لهذه الفكرة التي قفزت إلى ذهنه فجأة.. وتذكر عندما كان صغيراً يطارد العصافير ويتمنى أن يكون له جناحان مثلها..

- "تلك أحلام الطفولة!" .

هكذا قال لنفسه.. ولكن ها هو بعد كل هذا العمر يتمنى مرة أخرى أن يكون كالعصافير يسعى كل يوم دون أن يعرف الهرم والعجز إليه سبيلاً.

ازدادت سكينته، بينما ذكريات عمره تتداعى في خاطره، وتراءى له وجه زوجته الطيبة.. بابتسامتها الحانية منذ وفاتها لم يظهر له وجهها بهذا الوضوح . وشعر بالدموع تتجمع دافئة تحت أجفانه، حاول رفع يده ليمسح عينيه، ولكنه عجز عن ذلك فلم يهتم للأمر، فقد اكتنفته سكينة غامرة، وانبسطت أسارير وجهه، ورفرفت ابتسامة على شفتيه، ثم تجمد كل شئ .

غداً باكراً .. ستشقشق العصافير مغردة بلحنها الأبدي .. وقد

تـرى أن الـنور لا ينبعـث مـن خصـاص الـنافذه القريـبة مـنها .. ولكـنها حـتماً لـن تـدرك أنـها في ذلك الـيوم تعـزف لحـنها الأبـدي وقـد فقـدت مستمعها الوحيد(*).

طبرق

1990/1/10 ف

(*)نشرت بصحيفة البطنان العدد: 74 – 6 / 3 / 1990فـ.

نشرت بمجلة الفصول الأربعة العدد: 51 – ناصر/ 1991 ف.

طـــوق الكلــــب

ابتسم في خجل وتواضـع، وهـو يستمع إلى عـبارات الترحيـب الحـارة، تتلقاه بها الحاجـة "مرضية" وقد تهللت أساريرها، وطفحت عينـاها بالمودة والحنـان، وتهدج صوتها المشحـون بالعواطف وهي تدعو لـه بطول العمر ودوام الصحة.

كانـت تلك هي المرة الثانية التـي تقوم فيها الحاجة " مرضية" بـزيارة زوجـته، فقـد رأهـا في زيـارة سـابقة مـنذ نحـو أسـبوع .. هـو لا يعرفها ولم يسمع عنها من قبل، ولكن زوجته أخبرته أنها عجوز طيبة، متدينـة، مسكينة لا عائل لها..

ومنذ ذلك اللقاء وهو مأخوذ بطيبتها ودماثة خلقها.

في أثنـاء استبدالـه لثيابه أخـرج محفظته، ونظر فيها، كانـت تحـوي أحـد عشـر ديـناراً .. ورغـم عـلمه أن الرَّاتـب لـن يُصـرف قـبل أسـبوع على الأقل، إلا أنـه سـحب من المحفظة ورقة من فئة الخمسة دنـانير وعـزم أن يهبها للحاجة فقد رأى أنـها تستحق ذلك بعد ما علم من فقرها وعوزها.

لم تنتبه لـه الحاجة عند دخولـه عليها، فقد كانت منهمكة في الحديث مع زوجته، وتبدو على وجهها الصرامة والحدة، وقد عقدت ما بين حاجبيها، وتطاير الشرر من عينيها، كانت تتحدث بصوت خافت أشبه بفحيح الأفعى لم يتبين منه شيئاً. فما لمحته حتى تغيرت سحنتها، فأشرق وجهها سروراً وغبطة .. وعندما ناولها الخمسة دنانير ترددت في قبولها، ولكن أمام إلحاحه قبلتها على مضض، أو هكذا بدا له . بعد أن خرج واطمأنت الحاجّة إلى ابتعاده، أشارت إلى الباب فقامت الزوجة وأغلقته.

قالت الحاجّه وكأنها تستأنف حديثاً قد قُطع:

- "كلهم هكذا .. لا أمان لهم، ذئاب في جلود حملان إذا الواحدة منا لم تتخذ الحيطة والتدبير اللازم حيالهم قد تصبح شماتة للشوامت.

فقالت الزوجة بعد تردد، وقد أطرقت لتتجنب نظرات الحاجّه:

- "الحقيقة أن زوجي...

لم تدعها الحاجّه تكمل، فقالت مقاطعة :

- " لا .. لا .. كلهم سواء. الرجال قلوبهم تتقلب، هيهات أن يظل حبهم مقصوراً على امرأة واحدة .

جميعهم من طينة واحدة، والعاقل من يتعظ بغيره، ولقد أبلغتك نصحي وعليك نفسك".

ثم نظرت في عيني الزوجة، وقالت وهي تهز رأسها في أسف وترسم على شفتيها ابتسامة رثاء:

- " أنت طيبة جداً".

فتنهدت الزوجة وهمهمت بصوت يكاد لا يسمع :

- " فعلاً .. أنا طيبة جداً .."

قالت الحاجة وكأنها تحدث نفسها :

- "الطيبات أمثالك يؤخذن على غرة، ساعتها لا يكون في وسع الواحدة منهن سوى الدموع والعبرات، والندم، حيث لا يجديها ذلك شيئاً."

وختمت الحاجة حديثها بقولها:

- "مسكينات نحن النساء، بقدر ما نبذل ونضحي ينالنا الغدر والجحود".

فقالت الزوجة، وقد اكتسى وجهها بالحزن وانتابتها حيرة شديدة:

- "ما العمل؟، ما الذي ينبغي أن أفعله لكي أتدارك أمري، وأنجو من العاقبة الوخيمة، أشيري علي وستجدينني طوع أمرك".

- "حسن" .. قالت الحاجة وهي تخرج صرة صغيرة من بين طيات ثيابها، والتفتت إلى الزوجة تناولها الصرة قائلة:

- هذا هو " الكسكسي " الذي حدثتك عنه في زيارتي الماضية.

تناولت الزوجة الصرة، وهي تخفي مشاعر التقزز والنفور، فقد سبق أن حدثتها الحاجة عن كيفية صنعه. وبلهجة تأكيد قالت الحاجة:

-"بمجرد أن تستقر هذه الحبيبات في معدته لن يلتفت لأي امرأة سواك، ويعمى بصره عن أي عيب فيك، ويراك قمة في الجمال والحسن ورجاحة العقل. وعندها تأمرين كما تشائين ولن يملك إلا تنفيذ رغباتك صاغراً، ويتجنب نواهيك طائعاً، ويتبعك ذليلاً كالكلب.. "

ورددت الزوجة في دهشة:

- "كلب!!.. "

واصلت الحاجة حديثها وهي تشير إلى الصرة :

- "لغيرك لا أقبل ثمنا لهذه الصرة أقل من مئة دينار. أما وأنك قد دخلت قلبي و أحببتك لطيبتك، ولا مطمع لي من وراء خدمتك سوى توطيد العلاقة بيننا، وحمايتك من غدر الزمان".

وأخذت الحاجة تقسم على صدق قولها بعزة البيت الذي طافت حوله، وقد اختنق صوتها وترقرقت عيناها بالدموع . فربتت الزوجة على كتفها لتهدئ عواطفها قائلة :

- "يا حاجة لا تقسمي، إني أعلم مقدار حبك لي، وحرصك على مصلحتي وراحتي . ولا أعرف لو لم ألتق بك كيف سيكون مصيري.

قالت الحاجة بلهجة هادئة، بعد أن سكنت عواطفها:

- "لك أنت بخمسين ديناراً فقط".

أطرقت الزوجة فترة، ثم رفعت رأسها قائلة في استعطاف:

-"سأعطيك نصف المبلغ الآن، لأنـي لا أملك غيره، والنصف الآخر سيكون عندك بمجرد أن أحصل عليه، ولو اقتضى الأمر أن أبيع قطعة مصاغي".

وقبلت الحاجة، وتمت الصفقة.

عند العشاء، كان الزوج يلتهم الطعام بنهم وتلذذ.

شعور بالعرفان يغمره تجاه زوجته التي حققت له هذه المفاجأة السارة وقد أطرى اليد التي صنعت "الكسكسي" غير مرة، و دعا لها بطول سلامة.

وعندما أتى على آخر حبيبات " الكسكسي" قالت له زوجته وكأنها قد تذكرت شيئاً نسيته :

- "يلزمني خمسة وعشرون ديناراً."

بدون تريث وبصوت جهوري ألفى نفسه يردد:

- "حاضر... حاضر..."

دون أن يستفسر منها عن سبب حاجتها للمبلغ، أو يفكر في

ضخامته، أو عدم امتلاكه لـه أصلاً. لم يسبق لزوجته أن طلبت منه مبلغا بهذا الحجم .. قد يكون ذلك هو السبب في سرعة تلبيته لطلبها. أما الزوجة فقد غمرها ارتياح ابتهج لـه قلبها، وهي تنظر إليه مستحضرة في ذهنها قول الحاجة:

- "سيتبعك ذليلاً ...." (*)

طبرق

18/4/1988 ف

(*) نشرت بصحيفة البطنان العدد: 49 - 9. 5. 1988 ف.

نشرت بمجلة الإذاعة العدد : 15 السنة الثانية 1990 ف.

أحزان الصغيرة

كان الوقت فجراً والشمس لم تشرق بعد، إلا أن نورها كان يتسلل من وراء الأفق معلناً قدومها ومبدداً ظلمة الليل التي أصبحت الآن عتمة خفيفة.

أصبح الآن في مقدوره أن يميز الطريق وما يحيط به، فأطفأ أنوار السيارة ..

أنزل زجاج النافذة قليلاً فداعبت وجهه نسمات الفجر الرطبة .. شعر بالانتعاش فتشجع وأكمل إنزال الزجاج .. وضع مرفقه على الباب، أغراء السكون بالتأمل .. الكل في سبات .. لا سيارات .. لا بشر .. ولا حتى حيوانات .. السكون شامل .. فقط يمزقه صوت محرك سيارته التي كانت تنساب بسرعة على الطريق الندية .. زاد ضغطه قليلاً على (دواسة) البنزين .. سر عندما سمع صوت المحرك يستجيب فوراً لتلك اللمسة الخفيفة من قدمه..

تدريجياً أخذ يزيد من دفع دواسة البنزين مرهفاً السمع في الوقت نفسه إلى صوت المحرك .. زاد اندفاع السيارة على الطريق الندية .. لا زال غارقا في أفكاره .. ابتسم عندما تذكر كيف كان أصدقاؤه ينصحونه دائما بعدم السفر ليلاً – الذي كان مغرماً به – إلا أنه لم يستطع تغيير تلك العادة .. زادت ابتسامته عندما تذكر ابنته الوحيدة ذات السنوات الأربع.

وكيف قبّلها بينما كانت تغط في نوم عميق، وانسلّ في هدوء حتى لا يوقظها .

فجأة أحس بأن السيارة قد انحرفت وتكاد تخرج عن الطريق .. وبحركة غير شعورية أدار المقود عكس اتجاه السيارة في محاولة لتعديل مسارها .. عادت السيارة ولكن الدورة الفجائية أخلت بتوازنها .. انزلقت عجلاتها على الطريق الندية وانقلبت على جانبها، ثم سقفها وأخذت في التدحرج وقد تهشم الزجاج، وتطايرت بعض من أجزائها . وتناثر زيتها.. وارتطم الجسم بقطع الحديد.. فانسحقت العظام وانغرزت نهايات القطع الحادة في اللحم .. واستقر حطام السيارة على العجلات، وقد اختلطت الكتلة البشرية بالحديد و أصبحت في برودته.

بالتأكيد لا زال أفراد أسرته يغطون في نوم عميق .. سيمر به بعضهم .. وتستدعى سيارة الإسعاف والشرطة .. وينقل الجثمان

لأقرب مستشفى، حيث يودع في الثلاجة .. سيقلبون أوراقه ويجدون العنوان .. ويصل نبأ الفاجعة إلى الأسرة .. تتلقاه بالذهول والهلع والصراخ .. ويهرع الجيران والأقارب..

الصغيرة، تبكي وتصرخ تشعر بأن مصيبة قد حلت، بوالدها دون أن تدرك كنه تلك المصيبة على وجه التحديد .. بعض النساء لا تعرفهن، يحتضنها، ويمسحن برفق على شعرها قام البعض بجلب خيمة .. اجتمع كثير من الناس بعضهم لم يعرفه في حياته إطلاقاً، تحدثوا عنه وبالغوا في إطرائه. تدريجياً توقف الناس عن المجيء، وطويت الخيمة، وأعيدت من حيث أحضرت .. وعاد أفراد الأسرة إلى ممارسة شؤون حياتهم العادية .. قد أصبح الأمر واقعاً بالنسبة لهم .. وعادت البسمة إلى الشفاه .. وأخذت الأرملة تحصى ما تبقى من أيام العدة .. الكل بدا حزنهم كبيرا ثم صغر وأخذ في التلاشي، إلا الطفلة اليتيمة فقد بدا الأمر مشوشاً في ذهنها، وأخذت تسأل أعمامها وأخوالها عن والدها..

بعضهم يقول لها انه سيعود .. والبعض الآخر يقول كلاما لا تفهمه.

كانت تجلس بالساعات على عتبة الباب الخارجي، ترقب الغادين والرائحين، تنظر إلى الوجوه منتظرة عودة والدها لتندفع في أحضانه مرددة :

"بابا ... بابا.." وتسأله عن غيبته وما حل به، وتحكي له عن الخيمة والناس وما حدث .. لكن ستمر الأيام ويطول الانتظار وتتجمد كلمة "بابا" في حلقها إلا الأبد..(*)

طبرق

1987/5/7 ف

(*) نشرت بصحيفة البطنان تحت عنوان (سفر بلا عودة) العدد: 35- 2/التمور 1987.

يســـتر اللّه

رفـع الإمـام يديـه في تضــرع وخشـوع، وعـلا صـوته الأجـش العميق بالابتهال:

" اللهم اكفنـي بحلالك عن حرامك"

المصلون يرددون : " آمين ،، آمين.."

يلح الإمـام في الدعـاء ويـرتعش صوته تأثـراً وخشوعاً، والمصلون يؤمّـنون عـلى الدعـاء بحـرارة ورجـاء وجـد (الشـريف) نفسـه معقـود اللسـان، لم يستطع أن يؤمـن على الدعـاء مـع المصلين، فقد شعر بغصة في حلقه، حاول ابتلاع ريقه فلم يجد لـه ريقاً فقد كان فوه جافاً.

"اللهم اكفنـي بحلالك عن حرامك." كـان صدى تلك الكلمات يتردد في راس الشريف، ويثير أعماقه، فتكشف لـه حقائق الأشياء.

تلك الحقائق التـي ظل زمنـاً طويلاً يخدع نفسه عنها .

كل مـا حققه مـن جـاه، ومـا يقتنيه مـن ممتلكات حرام.. إذا لا يحق لـه أن يؤمـن على هذا الدعـاء، فكيف يـرجو من اللـه الوقاية من منكر، وقد تورط فيه فعلاً إلى قمة رأسه.

وشعر بخزى أعجزه عن تحريك لسانه .. وجنح به الفكر إلى ماض بعيد ..

فقبل أن يلتحق بالعمل كان طالباً بالمرحلة الثانوية لا هم له إلا متابعة دراسته والتفوق فيها .. وكان سعيداً بذلك، ولكنه اضطر لترك الدراسة بعد وفاة والده، ليعول نفسه ووالدته..

وتحصل على عمل بإحدى الشركات الوطنية بمرتب كان يفي بحاجته وحاجة والدته وزيادة..

لاحظ أن زملاءه في المكتب يتلاعبون بأوراق (فواتير) الشركة، ويحصلون من جراء ذلك على مبالغ كبيرة تفوق مرتباتهم أضعافا مضاعفة، لمَّحوا له بمشاركتهم فيما هم فيه، فعفت نفسه عن ذلك دون أن ينتقد مسلكهم أو يشنع عليهم، فرضوا منه بذلك وتركوه لحاله..

واستمر على ذلك إلى أن جاء يوم رأى فيه أن يحقق رجاء والدته ويكمل نصف دينه.

وبعد التشاور علم أن الأمر يكلف مبلغاً طائلاً لا قبل له به، كان يخجل ويتلعثم عندما يُسأل عن المبلغ الذي ادخره خوفاً من أن يكون مثاراً للسخرية والإشفاق.

وتملكته حالة من اليأس والقنوط.

ذات مرة انتحى به أحد زملائه في المكتب جانباً – بعدما رأى من سهومه وشروده – وعرض عليه حلاً لمشكلته، لم يبادر بالرفض كما حدث منذ سنوات، ولكنه تردد في أول الأمر، ثم شيئاً فشيئاً بدأ يدخل مع زملائه في ممارساتهم المشبوهة، ويشاركهم فيما يحصلون عليه.

وأصبحت الأموال تتراكم في يده..

وفي شهور قليلة تجمع لديه من المال ما لم يكن يحلم بجمعه حتى لو امتد به العمر مئات السنين.

أزال بيته القديم وبنى عوضاً عنه آخر جديداً يتألف من طابقين بمواصفات عصرية، وبموارد أغلبها جلب خصيصاً من الخارج، وأثثه بأحدث الأثاث ..

واشترى لوالدته مصاغاً من الذهب، وذهب معها إلى الأراضي المقدسة، حيث أديا فريضة الحج.. وكان حفل زواجه حديث المدينة كلها..

واستراح إلى هذه الحياة الوادعة، إلى أن كانت هذه الجمعة، حيث صدمه هذا الدعاء، الذي كان كالبرق أضاء لحظة خاطفة، ولكنها كانت كافية لتنير له الحقيقة كاملة.

ووجد نفسه يلعن (الفيلّلا) والسيارة والثروة، وبنى عزمه على تدارك ما فرط فيه..

"سيبدأ من الآن." هكذا قرر في نفسه، سيتجه إلى الإمام عقب الصلاة ويعرض عليه الأمر، ويلتمس منه النصح والإرشاد عسى أن يجعل الله له مخرجاً.

بعد انتهاء الدعاء وقف (الشريف)، واتخذ طريقه ناحية الإمام، توقف عندما اقترب منه، فقد كان بعض المصلين يلتفون حوله يستفتونه فيما عنَّ لهم من أمور دينهم ودنياهم، فآثر الانتظار حتى يفرغ إليه فيلقي إليه بالأمر العظيم الذي عقل لسانه وأذهل نفسه.

فما رآه الإمام حتى بدت عليه فرحة كادت تذهب بوقاره، فترك من حوله في تجاهل واضح، واتجه إلى (الشريف) يبادره بالترحاب والبشاشة، ووضع يده على كتفه زيادة في التودد.

وانطلق يناقله الحديث بلهجة ودية بعيدة عن التكلف، سأله عن والدته وأقاربه، كل ذلك و(الشريف) يرد بكلمات مقتضبة منتظراً أن تتاح له الفرصة لكي يبوح للإمام بما في نفسه.

وهمس الإمام في أذنه بأنه يبحث عنه منذ مدة.. وقبل أن يفيق (الشريف) من دهشته أضاف الإمام انه يبحث عنه ليحصل على بعض لوازم فرح ابنه الذي سيعقد قريباً..

فهمهم (الشريف) بصوت مخنوق:

- "ولكن هناك قضية، يا سيدنا الشيخ.."

وقبل أن يستطرد في سرد قضيته، قاطعه الإمام قائلاً:

- "لا يا بني أنت مبروك، كل الناس يمدحونك ويثنون على فضائلك، لا شك انك ابن حلال .. أبقاك الله لوالدتك وأولادك."

- ثم استطرد الإمام بعد أن خفض صوته قليلاً:

- "سأمر عليك غداً في مقر الشركة، حوالي الساعة التاسعة لأخبرك بما يلزمني."

أرسل (الشريف) من أعماق صدره زفرة حارة .. وقال:

- "يستر الله."

فرد الإمام وقد تهللت أساريره:

- " لا مستورة بعون الله، كلك بركة، أنت يا بني ربنا فاتح عليك أخلاق ومال وسمعة طيبة، وتربية أنعم وأكرم .. كم أود أن يكون ابني مثلك."

وقال (الشريف) في لهجة استسلام:

- "يستر الله"

فقال الإمام وهو يتخذ طريقه إلى خارج المسجد :

- " لا تنسى، غداً الساعة التاسعة ".

فَقَدَ (الشريف) رغبته في التحدث إلى الإمام، ووجد نفسه وقد خمد ما ثار فيها، واستعادت بعض استقرارها، يردد بلا وعي:

-" يستر الله .. يستر اللّه." (*)

طبرق

1991/3/4 ف

(*)نشرت بصحيفة البطنان – العدد :99 – 4 . 1991ف.

دهيميش

ما زلت برغم السنين الطويلة أذكر أول يوم رأيته فيه، فقد كنت أسير رفقة والدي قاصدين سوق الخضار، وفجأة انتابتني حالة رعب وفزع عندما ارتفع صوت حاد كعواء الذئاب.

وبحركة لا إرادية التفت مستطلعاً مصدر الصوت، فإذا كائن قذر في أسمال بالية، وهيئة رثة، يقف متشنجاً رافعا وجهه ناحية السماء، فاغراً فاه وقد بانت أسنانه الطحلبية السوداء.

وما أن انتهى عواؤه حتى أردف في صوت مبحوح قائلاً:

- "حوت يأكل في حوت، وقليل (الجّهد) يموت ."

- ثم استأنف مسيره بخطوات ثقيلة متعثرة، فقد كان في حالة سكر بين، بيده زجاجة خمر لم يتبق فيها سوى القليل، وكانت من نوع رخيص رديء يسمى "البَوْخَه"

- الصبيان يتراكضون حوله هاتفين باسمه:

- "دهيميش .. دهيميش."

باذلين وسعهم كي يستفزوه ليطلق عواءه الممدود ويختمه بعبارته الشهيرة:

"حوت يأكل في حوت، وقليل (الجَّهد) يموت ."

ظهر دهيميش في المدينة في أواخر الأربعينيات، وقتها كانت طبرق – بما تعج به من مخلفات الحرب – مقصداً لكثير من الناس، جاءوا من أنحاء البلاد تداعب خيالاتهم أحلام الثروة والغنى، القليل منهم تحقق له ذلك، وبعضهم تعلق بحب المدينة وأهلها فاستقروا بها استقراراً نهائياً، والبعض الآخر اثروا حياة التشرد والتسول ومنهم كان دهيميش.

لم تكن لديه غاية يسعى إليها ليحققها في حياته، إنه يعيش فقط، يأوي ليلاً إلى كهف عند مقلب القمامة في موضع يسمى (الشقشاق)، حيث تكثر الكلاب التي ألفها وألفته، واختص من بينها كلباً أسود أعجف آثره بوده، وسماه (سامبو) واتخذه أنيساً فشاركه الأكل وقاسمه النوم في الكهف.

وكم بثه همومه وشكواه عندما يفيض به الكيل.

وما أن يستيقظ حتى يمد يده إلى زجاجته فيرتشف ما تبقى فيها دفعة واحدة، ويقذفها بقوة خارج الكهف، فتتهشم على صخور الشاطئ، فيطلق عواءه الممدود، ثم يلتفت إلى (سامبو) قائلاً:

– "حوت يأكل في حوت، وقليل (الجهد) يموت ."

ويشرع في تدخين سجائره الرخيصة بشراهة، منتظرا قدوم سيارة القمامة، وعندما يتناهى إليه صوتها، يدب في أوصاله النشاط فيهب واقفاً، ويلتقط جاروفه، ويقفز خارج الكهف يتبعه (سامبو)، ويعمل في إفراغ القمامة، ويلتقط ما يراه صالحاً للأكل، فيركنه جانباً، وبعد أن ينتهي من عمله ينقده السائق أجراً زهيداً، وبينما تمضي السيارة في طريق عودتها إلى المدينة يعود دهيميش إلى الكهف، فيخفي الجاروف ويتقاسم مع (سامبو) الأكل الذي التقطه من بين القمامة ثم يترك الكهف في حراسة (سامبو) ويتجه إلى (الحان)، سالكاً الطريق الذي يقطع المدينة من البحر إلى البحر، من الجنوب حيث الميناء إلى الشمال عند (الشقشاق)، وذلك هو طريق دهيميش الذي لم يحد عنه يوما واحداً طوال السنين التي قضاها في المدينة، يسلكه إلى الحان بخطوات حثيثة مسرعه، ثم يعود مع الغروب بخطوات مترنحة متثاقلة حاملا زجاجة (البوخة).

- وقد افرغ معظمها في جوفه - قاطعاً الطريق شمالاً جهة (الشقشاق) حيث المأوى.

وهكذا تتوالى أيام دهيميش غير مبال بحياته الحقيرة المبتذلة، فقد هرسه الزمن بعنف حتى أنه لم يعد يرجو من الحياة شيئاً سوى الحصول على الخمر ليظل في سكر دائم وضياع مستمر.

ذات مرة ذهب إلى الحان، ولم تكن نقوده تفي بثمن (البوخة) فما كان من صاحب الحان إلا أن رمى النقود في وجهه، وحذره

معاودة الرجوع إليه، ولما تلكأ دهيميش في الخروج دفعه صاحب الحان خارجا فوقع على الرصيف وأطلق عواءه الممدود، وأجهش بالبكاء، ثم قال :

-"حوت يأكل في حوت، وقليل الجهد يموت."

ولجأ إلى دكان حقير يبيع صاحبه الحطب والكيروسين، وكحول الاشتعال، فاشترى زجاجة كحول، وشرب منها جرعات كبيرة، وسلك طريقه المعهودة، ولكنه لم يصل إلى الكهف في هذه المرة، فقد تهاوى حطاما في منتصف الطريق، وهمدت حركته، وانقطع عواؤه الذي طالما دوى في أرجاء المدينة لسنوات عديدة، وعندما أُسعف إلى المستشفى كان قد فارق الحياة، وفي اليوم التالي شُيع جثمانه، وكما جاء إلى المدينة وحيداً ذهب إلى قبره وحيداً فلا صديق ولا قريب .

أما (سامبو) فقد ظل ينتظر، وكان من وقت لآخر يذهب ليستشرف الطريق، ويتنسم الهواء، ولكن لا أثر لرائحة صاحبه، فيعود إلى الكهف يئن أنينا خافتاً.

وفي الصباح كانت الكلاب – على غير عادتها – تلتف حول (سامبو)، وكلما جاء أحدها نزل إلى الكهف كأنه يريد التثبت من أمر ما، ثم ما يلبث أن يخرج واجماً ليتخذ مكانه بجوار (سامبو).

عند الضحى جاءت سيارة القمامة، فهرعت إليها الكلاب عدا

(سامبو) فقد ظل في وضع الإقعاء مرتكزا على رجليه الأماميتين وقد أغمض عينيه نصف إغماضه، يخال لمن يراه أنه يتأمل البحر، حيث يمتد أمامه ساكناً، يداعب صخور الشاطئ بنعومة وسلاسة، ويعكس ضوء الشمس فيبدو كمرآة أسطورية.

ولكن سكون البحر وهدوءه ما هو إلا مظهر خادع، ففي الأعماق يجرى الافتراس في أبشع صوره، حيث يفتك القوى بالضعيف دون رحمة في ملحمة أزلية لانهاية لها (فحوت يأكل حوتاً)، وليس أمام الضعيف (قليل الجهد) .. سوى الموت(*)

طبرق

1998/12/23 ف

(*)نشرت بصحيفة البطان - العدد 165-16/1/1999ف.

أبو سعدية

- "مش معقول ؟!."

عبارة أفلتت من لساني رغماً عنى، مع علمي بصدق مُحَدثي وجّديته. ولكن كان صعباً عليَّ أنْ أصدق أنّ رجب السوداني ذلك الكهل الطيّب المبتسم أبداً رغم خلوّ فمه من الأسنان، التي تساقط أغلبها بفعل السُّكري اللعين، وليته اكتفى بذلك، بل عاث في جسده طولاً وعرضاً، حتى أصبح لا يقوى على المشي إلاّ متوكئاً على عكاز.

رجب السوداني بلحمه وشحمه هو نفسه (أبو سعدية)، الذي كنا نخشاه صغاراً، ويخوفنا به الأهل حين نتمادى في الشَّقاوة والشَّيْطنة. كيف لهذا الوديع المسالم أن يكون ذلك المارد الجبَّار المرعب.

ورغم اندهاشي ممّا قاله محدَّثي إلا أنني آثرت التظاهر بالفهم والتسليم بالأمر حتى لا يظن بي الغباء أو التبلّد. وفي لهجة حرصت أن تكون مُحايدة لأخفى ما تسرب من ريَبٍ وشك جرَّاء ما سمعته من محدّثي، قلت:-

- "الـذي أعـرفه أنّ رجـب السُّـودانـي ليسـت لـه ابـنة تُسـمّى سعديَّة، فمن أين جاءته هذه الكنية."

فاتخذ محدثي سمت الأستاذ المحاضر، ثم قال:

-" شخصية (أبو سعدية) مُوغلة في القدم، ولا أحد يعرف متى بدأت أو من بدأها، وتعتبر من ضمن التّراث الشّعبي لهذه المدينة، ولو كانت لفظة (أبو سعدية) كنية لشخص بعينه لاقتصرت عليه وانتهت بنهايته."

ثم سحب نفساً عميقاً من سيجارته قبل أن يلتفت إليّ ويردف، قائلاً:

- "ولعلمك لم يكن رجب السوداني هو الشخص الوحيد الذي لعب دور (أبو سعدية)، بل إن هناك شخصاً آخر لعب ذات الدور، ولابد أنك تعرفه."

وبعد فترة صمت قصيرة نظر في عيني مباشرة، وقال:

- "حمدو ... ألاَ تذكره؟!"

وتمتمت مردداً الاسم: حمدو .. حمدو .. في محاولة بائسة لاستحثاث ذاكرتي على العمل، ولكنها أبت إلا أن تخذلني، فنظرت إلى محدثي في استجداء، مستمداً منه العون، علّه يزيدني إيضاحاً، فألفيته يهز رأسه أسفاً، وفي عينيه نظرة إشفاق ويأس من ذاكرتي

التـي لم تعد تصلح لشيء، ومضـت لحظة خلتها دهراً، وفجأة برقت صورة في ذهني، فشهقت قائلاً:

- "آه .. بلى .. حمدو .. حمدو صاحب الحمارة البيضاء".

فانفجرت أسارير محدثي عن بسمة ارتياح، كارتياح مدرس توصل تلميذه الغبي لحل مسألة ظل يشرحها له طوال حصة كاملة .. ولكني لم آبه له ولم أعره التفاتاً فقد طغى على انتباهي حضور طيف حمدو بثوبه الأبيض، و (شنته) الحمراء، يمتطي ظهر حمارته البيضاء. وصدرت عني قهقهة خافته عندما تذكرت كيف أن الحمارة قد شردت به ذات يوم فأوقعته برأسه على صخرة فأحدثت ثقباً في الشنة ولم يُصب رأسه بسوء. وكثيراً ما روى تلك الواقعة وعندما يصل إلى نهايتها يقوم وينزع الشنة عن رأسه، ويضع يده بداخلها ليخرج إصبعه من خلال الثقب، ويديرها أمام عيون سامعيه ليُفحمهم بالدليل القاطع على صدق ما يقول.

وازداد الفكر بي شروداً متخطياً حدود الزمان والمكان وتزاحمت المرئيات في ذهني ومن بينها تراءى لي (أبو سعدية)، وقد كان يغطي وجهه بقناع يزدان بالعقيق وفي موضع الأنف يلصق شيئاً كمنقار الطيور الجارحة، مما يضفي عليه رعباً ورهبة ويتمنطق بحزام تتدلى منه خيوط إلى مسافات مختلفة ينتهي كل منها بعظمة كتف خروف. ويلف حول كل من كاحليه خلخالاً يتألف من علب صفيح صغيرة فارغة.

وينتقل بين الأحياء على حماره، وكلما دخل حياً أعلن عن مقدمه بالنقر على طبلته فتخرج النساء ويتنادى الصبيان ويتحلقون حوله فيقفز على الأرض ويبدأ في عرض رقصاته البهلوانية على إيقاع طبلته، وخشخشات العظام التي يتمنطق بها وصلصلات خلاخيله المعدنية، وقد يتظاهر بالهجوم على المشاهدين فتصوت النساء متظاهرات بالخوف، ويجفل الصبيان في حالة رعب حقيقي، ليعودوا بعد قليل إلى الفرجة ولكن عن بعد وفي حذر تحسباً لهجوم جديد.

وقد يحلو لبو سعدية مداعبة النساء ليدخل السرور إلى قلوبهن، فيجزلن له العطاء، فكان يشدو ببعض الأبيات بلهجة سودانية وينغمها على إيقاع طبلته ومطلعها الآتي:

(ادّردح ياهب الرمان الهرَّة باتت للشوشان)، ويقصد بالهرَّة: الحرّة، وهي المرأة البيضاء البشرة، أما الشوشان: فالرجل ذو البشرة السوداء، ويعني نفسه.

وعندما ينتهي من رقصاته يتجه إلى (خُرج) على ظهر الحمار، فيخرج منه أكياساً صغيرة أعد كلاً منها لغرض معين، فأحدها للدقيق، وآخر للأرز، وثالث للقمح، وأحياناً يُمنح بيضاً، ولكن نادراً ما يُجاد عليه بالنقود.

وكانت زياراته تتكرر بمعدل مرة في الشهر، ولم يحدث أبداً أن كشف (أبو سعدية) القناع عن وجهه، وبذلك ظلت شخصيته

الحقيقية مجهولة لدى الجميع وساعد ذلك على أن تكتسب طابعها الأسطوري.

وعندما نظرت إلى محدثي وجدته قد انتهى من تدخين سيجارته،فقلت محاولاً وصل ما انقطع من الحديث:

- "كان النّاس في ذلك الزّمان طيبين جداً".

رمى محدثي عقب السيجارة في المنفضة، وقال بطريقة تنم عن رغبته في إنهاء الحديث:

- "يرحمهم الله جميعاً".

قال ذلك ثم وقف مستأذناً.

وبعد عدّة أيام وبينما كنت خارجاً من المسجد عقب صلاة العصر، إذ بي ألمح رجب السوداني، فتبعته وقد أضمرت في نفسي أمراً، وعندما حاذيته سلمت عليه فاستقبلني بابتسامته المشرقة ووداده المعهود، كل شيء تغير فيه، عيناه فقط تحتفظان ببريقهما وحيويتهما.

وبينما كنت أضع يدي على كتفه في تودد وألفة، باغتّه قائلاً:

- "كيف الحال يا (أبو سعدية)".

فنظر إلى مستنكراً، ثم وضع كفه خلف أذنه ليبين أن سمعه ضعيف.

فقلت بصوت عالٍ مركزاً على مقاطع الكلمات:

- "يا .. بُو .. سَعْ .. دِ .. يَّة".

فرفع يده مستسلماً، وقال:

- "كان زمان ...".

فتساءلت وقد اتسعت عيناي دهشه:

- "أحقيقة كنت أبو سعدية".

فأومأ برأسه أن نعم.:

فقلت وأنا أحَّدق فيه متفحصاً جسده المتآكل:

- "ولكن أبو سعدية كان يقوم بقفزات عنيفة تعجز عن الإيتان بمثلها قرود الغابة".

فعلت وجهه مسحة حزن كمن جُرحت كبرياؤه، ثم قال مبتسماً:

- "انظر.."

رفع عصَاه أفقياً فوق رأسه، ثم قفز في الهواء وثنى رجليه، ونزل على الأرض برجله اليمنى مطوحاً اليسرى في الهواء، ثم قفز قفزة أخرى فاتحاً ذراعيه إلى أقصى ما يستطيع ونزل على رجله اليسرى مطوحاً اليمنى في الهواء.

.. تـمّ كـل ذلـك في لحظـة خـاطفـة، لحظـة تداخـل فـيهـا الـزمن، فطفت صورة جميلة من الماضي فوق سطح الحاضر الرّاكد.

أمـا رجـب فيبدو أنّ الأمـر لم يكـن سـهلاً بـالنسبة لـه، إذ تملكته نوبـة سـعـال شـديد، فـاضـطـر للجلوس على الرصيف إلى أن هدأ سعالـه والـتـقط أنفاسـه، فـأخذ عكـازه وتركـنـي ومضـى في طـريقه بخطـوات وئـيدة. وعـنـدمـا انعطـف في الشـارع واخـتـفى عـنـي ظـل صـوت خفـق خطواته يطرق سمعي متسقاً مع نقرات عكازه على أسفلت الطريق، فتذكرت صوت ساعات الحائط القديمة:

تك .. تك .. تك (*)

طبرق

1999/1/21 ف

(*)نشرت بصحيفة البطنان – العدد: 167 – 1999/2/13

نشرت بصحيفة الشمس – العدد: 2257 – 16/1430.

نهاية المطاف

الجوّ قارس، والبرد يزداد شدّة خاصة بعد أن أسدل الليل ستارة .. أقفرت الشوارع من المارة، ولاذ أغلب الناس ببيوتهم، حيث التفت العائلات حول "الدفايات" ومواقد الفحم، مستمتعين بالدفء ويمضون الوقت في مشاهدة برامج المرئية واحتساء الشاي.

عربة قديمة تتهادى متمهلة في شارع المدينة الرئيسي، سائقها يمسح بنظراته رصيفيّ الشارع بطريقة تبادليةّ، فعيناه في بحث دائم ممنياً النفس (بزبون) يلوّح إليه، فينقله إلى وجهته، ويستفتح به باب الرزق في هذه الليلة القارسة.

وبينما العربة تزحف مقتربة من الميدان الرئيسي بالمدينة، عصفت الريح بعنف فاهتزت العربة، وشعر السائق بتيار الهواء البارد يتدفق من خلال فجوات بدنها المتآكل، وبخبرة ابن البادية علم أن العاصفة نذير مطر قريب، فانعطف إلى الميدان وعمد إلى جهته الغربية كي يحتمي من العاصفة... أوقف العربة في مواجهة الشارع يفصلها عنه الرصيف.

أنزل الزجاج قليلاً فتناهى إلى سمعه هدير الأمواج وهي تصطدم بأرصفة الميناء محدثة دوياً هائلاً وتخيل قوارب الصيد الرّاسية وهي تتراقص برشاقة على ذرى الأمواج.

بدأت حبات المطر تطرق سقف العربة طرقات خفيفة متباعدة، وفجأة انهمرت بقوة تصم الآذان ..

بسرعة أعاد إحكام الزجاج .. شعر بالبرد يسري في رجليه فوضع كفيه على ركبتيه وأخذ يدلكهما محاولاً تدفئتهما حتى لا تعاوده آلام (الروماتزم) فتُعجزه عن الحركة.

تملكته رغبة شديدة في التدخين، فامتدت يده بصورة آلية إلى جيبه وجاست أصابعه برفق بحثاً عن السجائر، وأخذ يتحسسّها واحدة تلو الأخرى مُحصياً إياها: واحدة، اثنتان، ثلاث، أخرج واحدة منها وأشعلها ثم استرخى في جلسته وأطلق العنان لخياله، فليس من وسيلة يُزجي بها الوقت، ويروّح بها عن نفسه في وحدته سوى الانكفاء على الذات واجترار الذكريات، فأخذ يستعيد شريط حياته بدءاً بدخوله طالباً في معهد المعلمين وتنهد بحرقة وهو يستعرض تلك الأيام التي كانت تعبق بالآمال وتتضوّع في أجوائها الأحلام.. ثم وهو يستهل حياته العملية مزهواً بمهنته معتزاً بنفسه، ولم يكن متفرداً بتلك المشاعر بل كان زملاؤه يشاركونه ذلك الزهو والاعتزاز.

وشعر بغصة وهو يتساءل في نفسه: (تُرى أين هم أولئك

الزملاء؟!) .. وأخذت صورهم تتوالى متوهجة في ذاكراته: هذا فلان قد قضى نحبه .. وهذا فلان قد تدارك نفسه وهجر المهنة وعمل بالتصدير والاستيراد ففاز بالرفاهية والراحة .. وهذا فلان .. وهذا فلان .. قلة منهم كانوا على غراره قطعوا الشوط حتى النهاية .. عشرات السنين قضاها واقفاً بين اللّوح الأسود والتلاميذ، أجيال مرت بين يديه وهو واقف في ذات المكان.

جبال من الطباشير حولها إلى ذرات دقيقة كما لو كان شخصية أسطورية قضت عليها آلهة الإغريق بالعذاب الأبدي.

كان مثالاً للمربي الفاضل، فما همّه جمع المال ولا سعى إلى الثراء، فقد كان آمناً على مستقبله ومستقبل أسرته متصوراً أنه عندما يبلغ سن التقاعد سيحصل على مرتب يكفل له حياة كريمة، فيتمكن من قضاء بقية عمره مخلداً للراحة، متفرغاً لإشباع هوايته في القراءة والاطلاع، ولا بأس من القيام ببعض الرحلات السياحية للمتعة والفائدة ولكن، ما أن تقاعد حتى خابت كل تصوارته، فالمرتب لا يفي بحاجات أسرته ناهيك بإسعادها، فعانى الفقر وذل الحاجة.

وشعر بأن كدّه خلال سنوات طويلة قد ذهب سدى، وأن آماله التي بدأ بها حياته العملية قد أجهضت.

وأن ليس أمامه من وسيلة للكسب سوى سيارته المتهالكة.

(يا لقسوة الحياة!) هكذا قال في نفسه، بينما امتدت يده إلى جيبه وأخرج سيجارة وأشعلها، بعد أن اطمأن إلى وجود واحدة أخرى، وقد قرر أن يستبقيها إلى حين دخوله الفراش، رغم علمه بأن ذلك الفعل عادةً ما يثير حفيظة زوجته، فتكيل له التقريع والتعنيف بسخاء، ثم تندب حظها الذي أوقعها فيه، فعاشت في تعاسة دون بقية النساء.

وشعر بالحنان حيال زوجته وهو يستعيد كلماتها في خياله، ولم يستطع نفي مسؤوليته عما تعانيه من شقاء .. وتمنى لو تبدأ حياته من جديد فيسلك سبلاً غير التي سلك ويحول الدفة إلى صالحه، ولكن هيهات!!، وهل للزمان أن يعود .. وعند هذا الخاطر راعته تنهيده عميقة أفلتت من صدره، فتنبَّه من أحلامه.. تثاءب، ثم تطلع إلى الساعة في يده فوجدها تشير إلى الثانية عشرة ليلاً فعزم على العودة إلى البيت.

أدار المفتاح، فأطلق المحرك صوتاً واهناً ما لبث أن خفت، ثم انتهى إلى صمت مطبق، أعاد المحاولة بضع مرات دون جدوى، ففكر في النزول لتحري الخلل، وتردد عندما تذكر أن الطبيب قد نصحه بتفادي البرد وعدم التعرض له إلا أن تردده لم يدم طويلاً، فقد حسم أمره وعقد عزمه على النزول، لأنه إن لم يفعل ربما سيضطر إلى قضاء الليل بطوله في العربة مما يعرضه لخطر حقيقي قد يكلّفه حياته.

بصعوبة سحب نفسه خارج العرب ووقف متكئاً عليها .. لمح

طبقة من الصقيع تعلو غطاء المحرك فأزاحها بكفه، ثم فتح الغطاء.

وحاول تحريك (كابلات البطارية) آملاً في تحقيق تلامس جيد فتسري الكهرباء في الأسلاك وتعيد الحياة للمحرك فيخفق بحيوية وينقذه من هول هذه الليلة، وطرق رأس القطب الموجب بمفك كان في يده فانفلت المفك من بين أصابعه وانزلق إلى الأرض.

ولم يحاول استعادته فما كان ذلك في مقدوره حتى لو أراده.

أغلق غطاء المحرك، وجرجر رجليه مستنداً إلى العربة حتى استقر على الكرسي، وبجهد رفع رجليه إلى الداخل وأغلق الباب، ومد يده إلى المفتاح وهو ينظر بتضرّع إلى السماء.

أدار المفتاح وثبته على وضع التشغيل وأصاخ السمع، ولكن لا شيء سوى زمجرة الرياح منذرة بالمزيد من المطر والصقيع، أما المحرك فقد ظل صامتاً صمت القبور..

شعر بصعوبة في التنفس، وخدر في الجسم، ودوار في الرأس، وامتدت يده تشد على صدره الذي اجتاحه ضيق وألم شديدان، وتصبب العرق من جبينه رغم برودة الجو، فمال بجذعه إلى الأمام حتى استقر على المقود، وبدأ إحساسه ينفصل عما يحيط به وراح في عالم آخر.

ها هي الشمس تشرق وتتسلل أشعتها إلى مباني المدينة التي غسلها المطر، فتغمرها بالضوء والدفء، وتبعث فيها الحياة والنشاط فتدب الحركة في شوارعها.

نفر من الناس يجتمعون حول عربة في الميدان، يحاولون إخراج شخص منها.

وآخرون وقفوا يراقبون بفضول ما يجري ويعلو لغطهم مستفسرينَ عن المصاب، وتتطاير الكلمات من الأفواه: (أستاذ .. معلّم .. معلم .. قديم .. مسكين .. الله يرحمه).

وبينما الجسد يحمل إلى عربة أخرى تسقط سيجارة على الإسفلت، فتتدحرج لتستقر في بركة صغيرة وتتشبع بالمياه، فينبعج غلافها وتتحلل محتوياتها في الماء.(*)

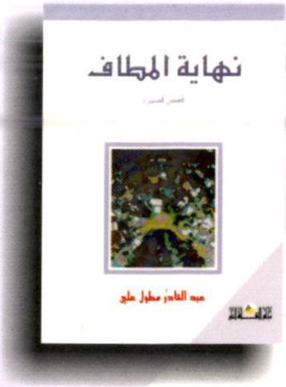
طبرق

1999/4/3 ف

(*)نشرت بصحيفة البطنان – العدد : 172 – 1999/4/24 ف

نشرت بصحيفة الشمس – العدد 2310 – 20 أي النار 1369 و.ر.

الفهرس



■ يقدم مجلس الثقافة العام للقارىء الكريم مجموعةً من إصداراته الجديدة المتنوعة، التي تتضمن أجناسًا أدبيةً وفنيةً، تهدف إلى دعم الكتاب ونشر المعرفة وتنمية الذائقة الجمالية وإثراء الحركة الثقافية .. آمِلاً إسهامًا جادًا يضيف إلى الحراك الثقافي رصيدًا مميزًا وفضاءً جديدًا للمعرفة وللحياة.